

# إزدهار في البوسنة والهرسك

## سياحة البيئة في البلقان

< نك ريمن

شهد الخامس والعشرون من آذار/مارس 2007 أول رحلة تجارية من لندن إلى سراييفو منذ إنتهاء الحرب الأهلية المبررة في البوسنة والهرسك في عام 1995. وهذا يجعلها آخر مدينة في أوروبا تقيم خطا جوبا مباشرا مع بريطانيا.

كان جو الرحلة الإفتتاحية متفائلا. ومن بين الذين كانوا على متن الطائرة مارين نيل الرجل المخضرم في هيئة الإذاعة البريطانية والمعروف في تغطية الحرب، وهو يرتدي بدلته البيضاء. ومن الجبل الأصغر منه، السفير البريطاني ماثيو رايكروفت، وقد جلس خلفه بقليل. ولكنه لم يكن مجرد احتفال للأعيان، فعضو طاقم الطائرة اندرو غوسلنغ كان فخورا بشكل خاص لأنه وفق للإنضمام إلى هذه الرحلة الأولى. وقال "لقد انتظرتها طويلا. وأردت أن أكون جزءا منها." وتحدثت السفير البريطاني عند الوصول إلى مطار سراييفو، فقال إن "البوسنة والهرسك توفر فرصا للمغامرة الجبلية، والسياحة الثقافية والدينية، وإمكانات أكثر من ذلك بكثير." وحتى مارتن بيل يتواجد هنا لتشجيع السياحة



Mezquita de pueblo, en los montes de Umljani

جامع القرية



التزلج في جبال أمولجاني  
Esqui en los montes de Umljani



Panorama del valle Studeno Polje

نظرة على وادي ستاينو بولجي



من اليسار: أدريان فيليبس (شركة برات)، ماثيو راكروفت (السفير البريطاني في سراييفو) ومارتن بيل (صحفي)  
Desde la izq.: Adrian Phillips (guía de la empresa Bradt Travel), Matthew Rycroft (Embajador Británico en Sarajevo) y Martin Bell (periodista)

وينوي مرافقة مجموعة من الزوار في أنحاء البلاد في وقت لاحق من السنة. ولسراييفو نفسها آمال عريضة بأن سوق الإجازات الأوروبية القصيرة سيوفر دعماً لاقتصادها. وحضرت هنا للقيام بدوري في المشي في بقعة آمنة من الألغام، فكيف تغير الزمن؟

توجهت نحو المدينة ساعياً لمواجهة تيم كلانسي من منظمة "الرؤى الخضراء". وهي منظمة محلية للحفاظ على البيئة وتقوم بجولات السياحة البيئية. وهو شاب أميركي يعيش في سراييفو منذ عام 1992 ومناهض للحرب. وعمل طوال فترة الحرب في مشاريع إنسانية في جميع أنحاء المنطقة، بما في ذلك تنسيق مشروع طبي في موستار خلال أسوأ ظروف قتالية.

إلتقيت بتيم في عام 2004، في لانكستر هاوس (بريطانيا) عندما كان بادي أشداون يقوم بإعداد حملته الأوروبية. وكان اللورد أشداون، الممثل السامي للأمم المتحدة، في مهمة لعرض ثروة البوسنة والهرسك من المناظر الطبيعية والثقافة غير المكتشفة إلى الجمهور الصحفي المرتاب، فقال لي تيم: "هيا يا نك تعال وقم ببعض المشي معنا في وقت مناسب." نعم يا تيم، أنا هنا وقد جلبت معي جزمتي!

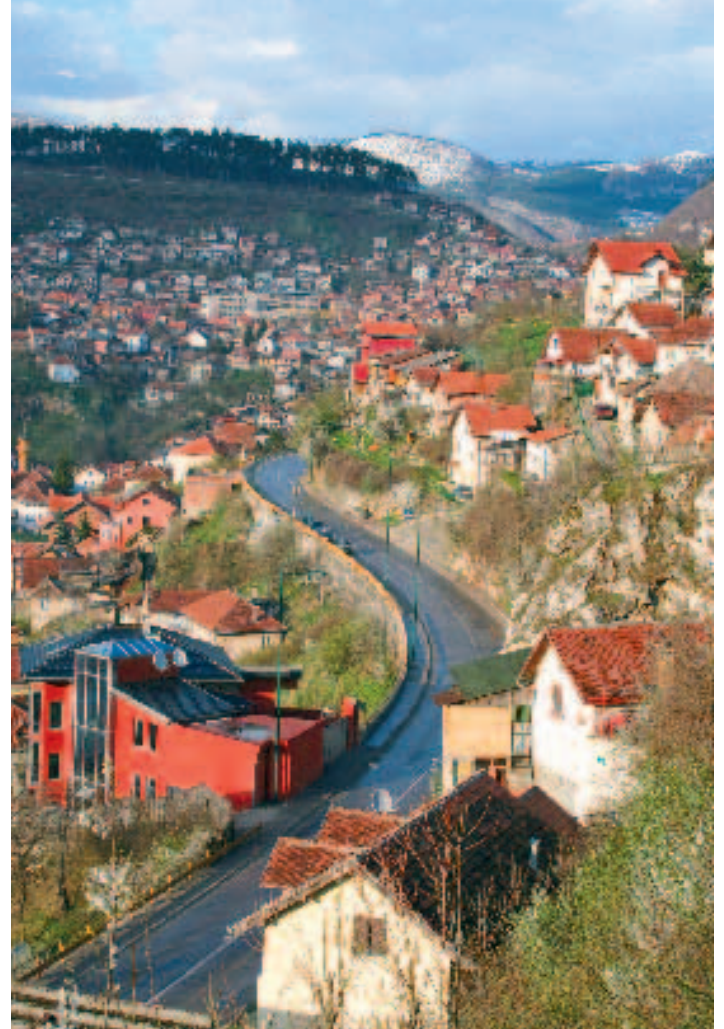
الخاصة بهم! وحيثما يوجد أي شك فإننا لا نذهب إلى هناك." تهيمن على البوسنة جبال الألب الدينارية التي تمتد في معظم أنحاء البلاد التي تبلغ مساحتها 51,000 كلم مربع مكونة أكبر مساحة من الحجر الجيري. ومن خلال هذه المرتفعات الوعرة والوديان يتدفق المكان دائماً بالمياه الجارفة، وبكميات هائلة. ◀

بعد يومين من الاستمتاع بسراييفو المنبعثة من جديد، حان الوقت للتوجه إلى تلال البوسنة والهرسك الغنية بالأوزون. وقال تيم يطمئنني: "صحيح أن هناك الكثير من الألغام، ولكن أيضاً الكثير من المناطق التي تعتبر آمنة تماماً وخالية من الألغام. وهناك بعض مخيمات قاطعي الأشجار غير المرخصين وقد وضعوا علامات الألغام





Caravasar Morica Han



Vista de Sarajevo

منظر لسراييفو

وفيسوتشيكًا. وتوقفنا هنا لبعض الوقت ومشيئنا بخطى مثقلة على الثلج حتى وصلنا إلى مرتفع قريب. وعند التطلع عبر الوديان إلى الأنهار المتدفقة على شكل شلالات تدير طواحين المياه. فقد كان من الصعب تصور أن هذه المنطقة كانت منطقة حرب. أخرجت القوات الصربية. خلال الحرب. الأسر المسلمة. وهدمت قراهم وفعلت أسوأ من ذلك. وقادنا تيم نحو خط من تشكيلات الحجارة الغربية على التل. وفجأت أدركت أنني أقف في مقبرة. ولكن هؤلاء الموتى لقوا حتفهم منذ قرون. وشاخصات القبور المنحوتة. ستيكي. هي سمة فريدة للبوستنة والهرسك. ويوجد عشرات الآلاف منها في مختلف أنحاء البلاد. واستمررتنا في الطريق نحو أمولجاني (وتعنى

شبه صناعة قطع الأخشاب. فمازال هناك الكثير من الغابات البكر القديمة، وهي تمثل واحدا من مكانين فقط في أوروبا مازالا يحتفظان بهذه الغابات.

وعند السفر إلى خارج سراييفو. وجدت أن الثلج الذي سقط حديثا قد أيقظ منحدرات التزلج في منتجع بيلاسانكا. لكن المفاجأة هي أن العاصفة الثلجية قد أدت أيضا إلى قطع طرق بعض القرى الجبلية. بما فيها طريق رحلتنا. وكانت الخطة (ب) تتضمن وضع أحذية الثلوج والمشى من قرية أمولجاني التي يسكنها المسلمون ويدير أهلها مبادرة سياحية جماعية وليدة.

لقد تبعت شاحنتنا الطرق المزروعة حديثا حتى أوصلتنا إلى نقطة تجتمع فيها ثلاثة جبال. هي بيلاسانكا وتريساكافكا

وتسقط الأنهار من فوق الجرفات العالية في شكل شلالات. أو تغيب في مجار سحرية تبتلعها. فتعاود الظهور مرة أخرى على بعد ميل مندفعة في شكل فورة بيضاء.

وهناك. ضمن هذا كله. تنوعا بيولوجيا غنيا. بما في ذلك وجود الدببة البنية اللون. والذئاب. والخنازير البرية مع أكثر من 240 نوعا من الطيور وأكثر من 3,700 نوعا من النباتات ومئات منها لا يوجد في أي مكان آخر. ومن المفارقات الغربية أن يتحول الكثير من حقول الألفام ليصبح بحكم الواقع ملاذا آمنا للحياة البرية والحيوانات. وهي تتجاهل التحذيرات المرسومة على شكل جمجمة وعظام. ولكن الصيادين الذين لا ينوون فقد أطرافهم. يقفون بعيدا عن المنطقة للحفاظ على سلامتهم. من جهة أخرى. وبالرغم من





Emin Fatic (Umoljani)

أمين فاتح / أمولجاني



Cantantes populares (Umoljani)

مغنيات شعبيات



Las cantantes hojean la guía escrita por Tim

المغنيات الشعبيات يتصفحن الدليل الذي كتبه تيم

استراحة وأخذ الصور بحثنا عن طريق آخر لهبوطنا أشد انحدارا. عابرين الأنتهار المتولدة عن الذوبان وهي تنبض تحت الثلج. وأخيرا أزلنا الثلج عن أحيديتنا ونحن نستقل الحافلة. أحد الأهالي. وإسمه أمين فاتح. هو المحرك الأساسي للثورة السياحية الصغيرة في أمولجاني. وقد وقف خارج كوخه الخشبي حائنا إيانا للدخول. وفي الداخل هناك بضعة غرف. وواحدة منها تضم تنورا خشبيا تعطني به ثلاث أو أربع نساء. ولما جلسنا قدم لنا

التل يفتح المنظر على "ستوديني بولي" والتي تعني حرفيا "الحقل البارد" وتقع في الأسفل. ومجرى ستوديني بوتوك أو "النهر البارد". وهذا هو وصف الرافد الذي يتموج في طريقه مثل الحية خلال الوادي. ويحبس هذا المشهد الأنفاس حتى وأنت غاطس في الثلج. رغم أنني لا أستطيع مقاومة تصوّر المكان في أوائل أمسيات الصيف عندما يكون أهالي غرادينا حاضرين والمراعي في الأسفل مليئة بالزهور البرية. وبعد فترة

المصلى). مررنا بمأذنة وحيدة في قرية. وهي دليل على أثر إنساني في زمن غابت عنه الإنسانية. وتقول القصة أن المسجد سلم من التخريب لأن ابن القائد الصربي كان قد شفي من المرض في شكل معجزة من جراء دعاء إمام القرية له بالشفاء قبل بضع سنوات. ومهما كان التاريخ. فالواقع أن هذا هو المسجد الوحيد الذي بقي قائما في المنطقة بأسرها.

ولبسنا في القرية أحذية الثلوج وأمسكنا ببعض عصي التزلج. لقد تملكني شعور غير مألوف لكنني استعدت السيطرة على نفسي بسرعة. متجها بخطوات ثابتة على منحدرات التلال. متمنيا لو كنت قد جلبت معي الكثير من الشوكولاته. وكنت باستمرار أراقب آثار المتقدمين من الفريق. وهم أصغر مني وأكثر لياقة بدنية. وكان الثلج ناصع البياض إلى حد أنه يعمي البصر. وأن النظارات الشمسية هي مما ليس منه بد. وعلى ارتفاع حوالي 1,600م نفدت الشوكولاته التي كانت بحوزتي وكذلك قوتي. ثم وصلنا إلى قرية صيفية مهجورة إسمها غرادينا فاغتنمت هذه الفرصة كمتنفس. وتجد هنا المباني الخشبية البسيطة ملصوقة على جانب التل. وتبدو وكأنها جيدة التهوية أخذين بنظر الاعتبار الرياح الثلجية هذا اليوم. وبالقرب من ذلك. وعلى رأس حافة

قهوة البوسنة والهرسك، والمشي في الجبال، ومشاهدة مناطق غير مرئية معروفة للزوار لأجيال عديدة والتمتع الحقيقي بضيافة غائبة عن حياتنا. ■

إذا كنت تنوي الذهاب أفضل وقت للذهاب هو آبار/مايو إلى تشرين الأول/أكتوبر إلا إذا أردتم التزلج. لا يحتاج مواطنو الإتحاد الأوروبي وأمريكا وكندا إلى تأشيرة الدخول.

والمناظر الطبيعية المنعشة والأكل الطيب قد تخلت كامل بدني ودون مقاومة. رغم كثرة الأنهار والشلالات في البوسنة، وهي تذكر غالبا عنوانا على البلد، فالقهوة هي أيضا إحدى الخصائص. في كوخ أمين فاتح، تأتيكم قهوة وحلوة، وتأخذ مكانتها اللائقة في البنية الاجتماعية للبلد. وكان عنوان "تعالوا اشربوا القهوة" شعارا لمرحلة المصالحة ما بعد الحرب، ويبدو أنه مناسب أيضا لأن يكون بمثابة دعوة إلى بقية العالم، إذن حان الوقت للاستيقاظ واستنشاق رائحة

الشاوي الجبلي بالسكّر. ومن خلال الترجمة التي قام بها تيم، أدلى أمين ببيانه بوضوح "اسأل أيا من القرويين في هذه المنطقة ما هو المستقبل، وسوف يقول لك السياحة. أنا هنا في عطلة نهاية كل أسبوع، وأوروبا تأتي إلى البوسنة، لأن البوسنة لم تدخل في عضوية الوحدة الأوروبية إلا أننا ننتظر ذلك اليوم." وبدأت سيدات القرية بملء الموائد بأطباق المعجنات والبورك والزيليانكا والكوسكوس، والخضراوات وشراب اللبن البارد. هذا هو أحسن مثال للغذاء الريفي بلا منازع، وكما يقول أمين "كل شيء تقريبا، نحن نأكله اليوم قد أنتج هنا أيضا."

وأضاف أمين "إن القرويين كانوا خجولين قليلا في أول الأمر، لكنهم سرعان ما انخرطوا في السياحة. والنتائج التي كنا نتوقعها خلال ثلاث سنوات ظهرت في ثلاثة اشهر!" عند هذه النقطة، وفي محاولة واضحة لمساعدة الهضم، قامت خمس سيدات بلباسهن التقليدي الأبيض والأحمر، واللأني كنّ يساعدن في المأدبة، بأداء بعض الأنغام الشعبية. وكانت أغانيهن قديمة، ورغم أنني لا أفهم الكلمات، فقد كنت متأكدا أنها قصائد تحذيرية من الفواجع والحب المفقود. قريبا سيحين الوقت للعودة إلى سراييفو ولكن وهج اليوم الحار والتمارين،



Nick Redmayne mirando el valle Studeno Polje

نك ريدمن يلقي نظرة على وادي ستادينو بولجي



Gradina, pueblo estival

غرادينا/ قرية صيفية